

دوش ماء بارد للصائمين . . وعقوبات للمجاهرين بالافطار

نقاش - عادل كمال

تبدو أسواق الموصل مع ساعات ما بعد منتصف النهار شبه خالية، فالصائمون يلزمون بيوتهم بعد أن وصلت درجات الحرارة هذا الصيف إلى معدلات غير مسبوقه، وتجاوزت الخمسين مئوية، كما أن معظم الطرق الرئيسية والفرعية المؤدية إلى الأسواق أغلقت من قبل الأجهزة الامنية المنتشرة لتنفيذ عمليات امر الربيعين الجارية منذ أكثر من عامين.

ظاهرة ضعف الاقبال على اسواق الموصل القديمة الرئيسية كالسرجخانة وباب السراي وباب الطوب، تحدث للمرة الاولى، حسب الباحث والمؤرخ عبد الجبار الجرجيس الذي قال إنها كانت تعج في رمضان من كل عام بالاف المواطنين القادمين من كل الانحاء، ولم يكن الصخب والضجيج ليختفيان، الا بعد لحظات قليلة من اطلاق مدفع الافطار.

الاعلامي يونس فتحي قال ان انفلات الوضع الامني في مدينة الموصل وتحديدًا منذ اليوم الذي يعرفه الموصليون بالسقوط الثاني، وكان في 11 تشرين الثاني 2004، تسبب

بإحداث تغيرات في جغرافيا الاسواق، التي حافظت على تماسكها طوال الف عام تقريبا. فسي ذلك اليوم سقطت المدينة بكامل مرافقها وأسواقها باستثناء مبنى المحافظة بيد مسلحي دولة العراق الاسلامية. وخلت الموصل من الوجود الأمني بعد أن سيطر المتشددون على مقرات الشرطة الرئيسية. والخوف من التفجيرات المفاجئة، واطلاقات النار العشوائية، والاختيالات، واغلاق الطرق لفترات طويلة، يقول فتحي، جعل المواطنين يتجنبون التبضع في مناطق بعيدة عن محلات سكنهم، "وهكذا انتقلت محال بيع الالبسة، والعمود، والمواد الغذائية، والادوات المنزلية، والفواكه والخضر، وحتى الاطباء والمختبرات الصحية، إلى داخل المناطق السكنية او قريبا منها وبدأ يتراجع تدريجيا نشاط الأسواق الكبيرة".

الحاج محمود الكواز وهو تاجر البسة في الستين من عمره، اعتبر ضعف النشاط التجاري في اسواق الموصل "حالة مؤقتة"، وذكر بان المواطنين "اقتنوا اغلب احتياجاتهم قبل حلول شهر رمضان، لانهم يعرفون مدى صعوبة ومشقة القدوم الى السوق بسبب حرارة شهر آب اللاهية، وانهم سيضطرون في كل مرة الى قطع مسافة كيلومترين او ثلاثة مشيا على الاقدام بسبب غلق الطرق لدواع أمنية". الملازم الاول عزيز احمد، وهو من الشرطة الوطنية، يتركز واجبه عادة في القرب من باب السراي اقدم الاسواق واكبرها على الإطلاق في الموصل، قال إن الأجهزة الامنية اضطرت الى غلق معظم المنافذ والافرع الثانوية المؤدية الى هذا السوق وما يجاوره من اسواق اخرى، وابتقت على منفذين احدهما للدخول والآخر للخروج، "تحسبا للقيام باختراقات أمنية، وذلك بعد ارتفاع معدلات حوادث الاغتيال التي طالت مدينيين وغيرهم في وضح النهر داخل هذه الاسواق في الأشهر الماضية".

"ففي كل مرة كان يظهر فيها الارهابيون بمسدساتهم الكاتمة الصوت كانوا يهربون عبر الأفرع الضيقة بعد تنفيذ العملية ويختفون كالأشباح" يقول أحمد، مضيفا أن "العمليات الارهابية تزداد في شهر رمضان".

الوضع الأمني، غير ايضا طقساً مهما من طقوس رمضان، كان يمارسه المواطنون في الموصل طوال عقود ما قبل 2003، وهو التجوال في الاسواق والتبضع ليلا بعد الافطار. هذا الطقس اختلف، مع فرض حظر التجوال الليلي.

وبحسب المؤرخ المكتبي حميد عبد الله فان سبباً آخر يقف وراء اختفاء التسوق الليلي في رمضان وهو انقطاع الكهرباء.

وأشار الى ان هذا الطقس تراجع في معظم اسواق الموصل منذ عام 1991، اي بعد الحرب العراقية الامريكية الاولى، وتفاقم الامر بشكل أكبر بعد الحرب الثانية في عام 2003.

في المقابل، طفت على المشهد الرمضاني هذا العام ظواهر جديدة لم يالفيها الموصليون من قبل. أحدث تقليعة انتشرت في أسواق الموصل هي ما يسميه الاهلي "الدوش السفري".

بائع موائد منزلية في شارع الكورنيش في مركز مدينة الموصل، فضلا عن مئات المحلات التجارية والمطاعم في منطقتة بدأت بوضع "دوش" وهو عبارة عن خرطوم مياه ينتهي بدش حمام، يوضع بشكل عمودي في مدخل المحل، يستخدمه عموم المواطنين الهاربين من حرارة آب، وتعب الصيام في تبليل أجسادهم.

البائع ذكر بشيء من المرح "بدأنا نستخدم وسائل متحضرة، في اقتناع المواطنين بارتياح الاسواق، لقد جلبنا لهم حمامات متنقاة، ولم يعد بوسع احد التذرع بارتفاع درجات الحرارة".

هذه الظاهرة، تقشقت بسرعة كبيرة، وانتقلت عدواها الى معظم الاسواق الكبيرة في الموصل.

وشرح ثابت عبد اللطيف 53 سنة، وهو بائع قماش في

سوق البزازين، كيف انتشرت ظاهرة "الدوش السفري"، وقال بأن المحال التجارية التي تضع خرطوم المياه تلك، كانت تقدم مياه الشرب الباردة مجاناً قبل رمضان، "ولأن معظم الناس صائمون في رمضان، لجأوا الى طريقة اخرى لكسب الحسنة وربما الزبائن، من خلال ابتكار الحمامات المجانية".

الوضع الأمني وغلق الطرق وارتفاع درجات الحرارة ليست الاسباب الوحيدة وراء قلة ارتياح الاسواق في الموصل رمضان هذا العام.

تاجر المواد الغذائية فراس فاضل، أكد ارتفاع الاسعار المبالغ كان سبباً اضافياً. ولفت فاضل الى ان توقيت ارتفاع الاسعار مع قدوم شهر رمضان سببه عدم انتظام توزيع مفردات البطاقة التموينية على المواطنين، اضافة الى حدوث ارتفاع في الطلب مع انخفاض في المعروض قبل بداية الشهر، فحدثت فروقات الاسعار، "وهي حالة مؤقتة وستنتهي مع انتهاء شهر رمضان" على حد قوله.

من جهة أخرى، سارعت محافظة نينوى الى الاعلان عن عقوبات ستواجه كل من يفرط بشكل علني في اسواق الموصل، دون ان تحدد ماهية تلك العقوبات. وقالت محافظة نينوى ان قوات من الجيش العراقي والشرطة المحلية، ستقوم بمتابعة ذلك و"القبط على كل من يثبت افطاره العلني".

على أرض الواقع، فإن حالات الافطار العلني التي ترصد في شوارع الموصل عادة يكون مصدرها عناصر في الجيش او الشرطة المرابطين في نقاط التفتيش المنتشرة بشكل كثيف في كل مناطق الموصل وكذلك في الاسواق.

أحد أفراد الشرطة قال انه وزملائه "يضطرون الى القيام بواجباتهم في الغالب تحت اشعة الشمس الحارقة، ويصعب على الكثيرين منهم الاستمرار في الصيام".

ليالي السليمانية . . سهرات رمضان وأسواق تستقبل روادها حتى منتصف الليل

السليمانية - وكالات

تشهد أسواق السليمانية ليلا حركة تسوق نشطة، في وقت تمتد السهرات الرمضانية في مقاهيها الشعبية ومطاعمها حتى ساعات متأخرة من الليل، في طقوس وتقاليد تلقى ترحيبا من اهالي المدينة التي تعرف بعاصمة الثقافة الكردستانية. أسواق المدينة في رمضان تنشط في الليل على غير عاداتها في بقية أشهر العام، حيث تفتح المحال أبوابها لاستقبال المتسوقين خاصة محلات بيع الملابس والعمود استعدادا لعيد الفطر، في حين تكتظ المقاهي ليلا بالزبائن الذين يلتقون في مجموعات للسمر او ممارسة بعض الألعاب الشعبية والى وقت متأخر من الليل.

ومع تزايد أعداد المتسوقين والباحثين عن تمضية بعض ساعات الفراغ او الترفيه عن النفس تزداد صعوبة الحركة في شوارع اسواق السليمانية الرئيسية ويضطر معها عناصر شرطة المرور إلى السهر بدورهم لتنظيم حركة السير، في مظهر يصعب رؤيته في باقي مناطق العراق.

وتغص مقاهي السليمانية القديمة بروادها الذين يمارسون هوايتهم التي اعتادوا عليها في رمضان، فيسهرون حتى ساعات الفجر الأولى مع لعبة "الصينية" التي تشهد منافسة حامية بين فريقين، وتمثل قواعدا باخفاء خاتم تحت واحد من مجموع 12 فنجانا برونزيا مرصوفا على صحن دائري كبير بعد تغطية رؤوس اللاعبين تحت قطعة قماش، ويتعين على الطرف المقابل العثور على الخاتم.

يقول حسين قادر (65 عاما) "انا اعتدت على ممارسة هذه اللعبة في المقاهي الشعبية منذ أن كنت في العاشرة من عمري، فقد ورثنا هذه العادة من آبائنا وأجدادنا، وهي لعبة جميلة تخلق منافسة كبيرة بين فريقين، لذلك أحرص على الحضور الى المقهى حيث أجواء التشجيع لممارستها او مشاهدتها".

ويضيف "المنافسات تكون كبيرة بين الفرق، حيث يتم تنظيم ما يشبه الدوري الذي تشارك فيه فرق تمثل أحياء السليمانية والقرى المجاورة لها، وتستمر المنافسة حتى فترة تناول السحور، ثم تتوجه إلى المسجد لأداء صلاة الفجر قبل العودة إلى المنزل".

وتعتبر لعبة "الصينية" اللعبة الشعبية الأولى في ليالي رمضان بمدينة السليمانية والمناطق المجاورة لها، في حين تمارس لعبة "المحبيس" في بغداد ومناطق وسط وجنوب

ذلك ونفتح محلاتنا حتى منتصف الليل، ونتمنى ان يستمر ذلك في باقي اشهر العام لأن الأوضاع الأمنية جيدة والسوق مزدهمة طوال الوقت، فلماذا يرتبط الأمر فقط بـرمضان".

ويتفق معه زميله شوان عبد القادر، قانلا ان عمل معظ الأسواق يبدأ مع ساعات المساء، ولكنه يأخذ بالتصاعد بعد صلاة العشاء، حيث يزداد الزحام مع خروج معظم العوائل في تلك الساعات للتسوق، حتى اصبح التسوق في النهار محدودا".

ويضيف "كما ان التسوق في الليل له طعم خاص فالشخص يشعر بحرية اكبر والجو يكون افضل وبإمكان من يريد أن يستمتع بتناول المشروبات والأطعمة الخفيفة خلال التسوق".

فيما أعرب خورشيد حمة، موظف، عن سعادته بفتح الأسواق في الليل وبأجواء وطقوس رمضان، قانلا ان "فتح المحال في النهار والى ساعة متأخرة من الليل يمكن ان يقلل الازدحام في الشوارع والأسواق، حيث لن يقتصر التسوق حينها على ساعات المساء بشكل خاص". ويضيف "لكن الناس اعتادت على التسوق ليلا في رمضان حصرا، بسبب كونهم صائمين في النهار ومن الصعب عليهم التجول في الاسواق في ظل درجات الحرارة العالية".

من جهتها، قالت ميلان مجيد (28 عاما) موظفة حكومية، ان "معظم اهالي السليمانية يقصدون الأسواق في الليل للتسوق براحة، والعائلة بحاجة إلى تفقد الأسواق عدة مرات لتكملة حاجات العيد".

وأشارت مجيد الى ان "السليمانية في ليالي رمضان تشهد اجواء جميلة، وتغص اسواقها، التي تحوي مختلف انواع البضائع ومن مناشيء مختلفة، بالمتبضعين".

أسو موسى، طالب، قال ان "مدينة السليمانية متألقة كعهداها، وهي بطبيعتها، نهارا وليلا مدينة مميزة تختلف نسبيا عن باقي مدن الاقليم، ونحن نأمل ان تواكب السهرات الرمضانية نشاطات ثقافية خاصة، لأن السليمانية هي عاصمة الثقافة الكردستانية ومن الجيد ان يكون لها حضورها الثقافي المميز في ليالي رمضان".

وتنتشر في اسواق السليمانية بشكل خاص البضائع التركية والايرانية الى جانب البضائع الصينية، وتنشط حركة بيع الملابس قبيل عيد الفطر، حيث تحرص العوائل على تأمين مستلزمات أطفالها من الملابس الجديدة، فضلا عن حاجات ضيافة العيد.



العراق، وتنتهي اللعيتان عادة بتوزيع الحلويات الرمضانية، التي تجهزة وتوضع في أطباق كبيرة وفي مكان بارز من المقهى، على المشاركين في اللعبة الفائزين والخاسرين على حد سواء فضلا عن المشجعين والمتفرجين.

ويتابع قادر "اللعبة لا تقتصر ممارستها على مدينة السليمانية، بل كانت المنافسة الأكبر قديما تشهدها كركوك حيث كنا نمارسها في مقاهي كركوك لكن الأوضاع الأمنية هناك صعبة الآن ولا تسمح بممارستها الى ساعات متأخرة".

فيما يقول، هوشنك احسان، ان "طعم رمضان لا يكتمل بدون لعبة الصينية ومنافساتها التي تجمع اهالي المدينة من طبقات واعمار وفئات مختلفة"، مضيفا "كبار السن كما الشباب يشاءون في اللعبة التي قد تستمر منافساتها بين فريقين لساعات طويلة قبل حسمها لصالح احدهما".

ويتابع "رغم وسائل الترفيه الحديثة وما تجذبه القنوات